



لا تستطيع أن تعلم حقائق الأشياء إلا عند اختبارها، وفتنة المعادن تخرج خبثها، وتبقي على ثمينها.
ولا تستطيع أن تعلم حقائق الناس إلا في المواطن المختلفة، وأهمها في مواطن البليا والمشكلات.

فطالما ظهر بعضهم بوجه غير الوجه الذي تعرفه به إذا مر به بلاء، وطالما تغيرت الوجوه ونكصت الخطوات على الأعصاب في المحن والشدائد.

فكم من صديق أنكر صديقه عند شدته، وتركه يعاني الآلام رغبة في مصلحة ذاتية أو خوفاً من مضره مظنونة .
وكم من رجل ظنه الناس وقوراً حبياً إذا به يسقط في مستنقع العورات وموبعة الشهوات عندما عرضت عليه الفتنة.
وكم من أمرى ظنه الناس عالماً عالماً، إذا به ينقلب حليفاً لكسبه فليوبي عنق الكلمات ويدنس نفسه بمعاملة الباطل، فلا يرفع للحق رأية، ولا يقيم للدين قائمة مادام ذلك قد تعارض مع مصالحه الشخصية ومنافعه الدنيوية ومادام كان في قوله الحق له اختبار وفي موقف الصدق عنده شدة وابتلاء!

إن معادن الناس تظهر في الشدائدين، تبين حقيقتها، وتجلّي كامن صفاتها، فقد تعرف إنساناً لفترات طويلة، ولا يبيّن لك منه صفاته الحقة، فإذا مرت الشدائدين ظهرت صفاته وبانت علاماته، فلأنما تكشف بعد اختفاء وتعرى بعد غطاء!

والشدائـد تـقـرـبـ المؤـمـنـينـ إـلـىـ رـبـهـ، وـتـبـاعـدـ المـزـوـرـينـ وـالـكـاذـبـينـ عـنـ سـبـانـهـ.

فـالـمـؤـمـنـ يـسـارـعـ تـوـبـةـ وـاسـتـغـفـارـاـ، وـإـنـابـةـ وـإـصـلـاحـاـ، وـرـدـاـ لـلـحـقـوقـ، وـتـبـتـلـاـ لـلـهـ سـبـانـهـ رـجـاءـ تـخـفـيفـ الشـدـدـةـ وـإـذـهـابـ الغـمـةـ.

وـالـكـاذـبـ يـسـارـعـ إـلـىـ الدـنـيـاـ يـطـلـبـ مـنـهـ فـكـ الشـدـدـةـ، وـيـتـعـلـقـ بـالـأـسـبـابـ، وـيـنـسـىـ رـبـهـ سـبـانـهـ، فـلـاـ تـزـيدـهـ الشـدـدـةـ إـلـاـ نـفـورـاـ، قـالـ سـبـانـهـ: "وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـعـبـدـ اللـهـ عـلـىـ حـرـفـ إـنـ أـصـابـهـ خـيـرـ اـطـمـأـنـ بـهـ وـإـنـ أـصـابـهـ فـتـنـةـ اـنـقـلـبـ عـلـىـ وـجـهـ خـسـرـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ ذـلـكـ هـوـ الـخـسـرـانـ الـمـبـيـنـ"

وـالـشـدائـدـ منـقـيـاتـ، يـقـولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ "لـاـ يـزـالـ الـبـلـاءـ بـالـمـؤـمـنـ حـتـىـ يـفـارـقـ الدـنـيـاـ وـمـاـ عـلـيـهـ ذـنـبـ".

وـالـلـهـ سـبـانـهـ طـيـبـ لـاـ يـقـبـلـ إـلـاـ طـيـبـاـ، فـيـسـلـطـ الشـدائـدـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـ لـتـفـتـنـ صـفـاتـهـ، وـتـنـقـيـ حـقـيقـتـهـ، فـيـنـهـبـ الـخـبـثـ، وـبـقـىـ الـطـيـبـ، فـيـلـقـونـ اللـهـ طـيـبـيـنـ، وـمـنـ وـافـتـهـ مـنـيـتـهـ مـنـ الـمـوـحـدـيـنـ قـبـلـ أـنـ يـتـمـ تـوـبـتـهـ، تـمـتـ تـنـقـيـتـهـ قـبـلـ دـخـولـ الـجـنـةـ، فـيـدـخـلـوـنـ الـجـنـةـ بـعـدـ التـنـقـيـةـ وـالـتـصـفـيـةـ فـيـقـالـ لـهـمـ عـنـدـئـذـ: "سـلـامـ عـلـيـكـمـ طـبـتـمـ فـادـخـلـوـهـاـ خـالـدـيـنـ"

وـكـمـ أـنـ الشـدائـدـ كـاـشـفـةـ لـمـقـدـارـ الـخـيـرـ فـيـ الـدـيـنـ، فـإـنـهاـ كـاـشـفـةـ فـيـ أـمـورـ الـدـنـيـاـ، فـالـشـدـدـةـ تـظـهـرـ الصـدـيقـ الـحـقـ، وـتـبـيـنـ فـضـيـلـةـ الـمـرـءـ، فـكـمـ مـنـ مـدـعـ لـفـضـيـلـةـ إـذـاـ جـاءـتـ الشـدائـدـ أـسـفـرـ عـنـ وـجـهـ جـبـانـ قـبـيـحـ، وـأـنـانـيـ خـسـيـسـ، وـكـمـ مـنـ كـرـيـمـ قـلـيلـ الـحـدـيـثـ عـنـ نـفـسـهـ، تـرـاهـ فـيـ الشـدائـدـ أـسـدـاـ هـصـورـاـ، وـمـرـوـئـاـ عـظـيـمـاـ، مـؤـثـرـاـ الـخـيـرـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـبـاـذـلـاـ لـلـمـكـرـمـاتـ حـتـىـ لـوـ كـانـ حـالـهـ ضـيـقـاـ حـتـىـ إـنـيـ وـدـدـتـ أـنـ لـاـ تـكـوـنـ صـدـاقـةـ إـلـاـ بـعـدـ شـدـةـ وـاـخـتـيـارـ، وـلـاـ أـخـوـةـ إـلـاـ بـعـدـ عـشـرـةـ وـاـخـتـيـارـ، حـتـىـ لـاـ نـسـمـعـ بـالـصـدـمـاتـ الـنـفـسـيـةـ فـيـ الـأـصـدـقـاءـ وـالـإـخـوـانـ، تـلـكـ الـتـيـ نـسـمـعـ عـنـهـ كـلـ يـوـمـ !

وـالـشـدائـدـ أـيـضـاـ كـاـشـفـةـ لـقـيـمـةـ الـمـرـءـ أـمـامـ نـفـسـهـ، فـيـعـلـمـ مـنـ نـفـسـهـ كـمـ هـوـ صـادـقـ مـعـ نـفـسـهـ وـمـعـ رـبـهـ، وـهـلـ هـوـ مـدـعـ لـاـ يـلـبـثـ أـنـ يـنـكـسـرـ فـيـ الـمـشـكـلـاتـ وـيـنـقـلـبـ عـلـىـ عـقـبـيـهـ فـيـهـ أـمـ أـنـ صـادـقـ مـعـ نـفـسـهـ وـاـضـحـ مـعـهـ، وـيـعـلـمـ قـدـرـ ثـقـتـهـ فـيـ مـبـادـئـهـ وـقـيـمـهـ، وـيـعـلـمـ مـكـامـنـ الـخـلـلـ عـنـهـ وـأـمـاـكـنـ الـثـغـرـاتـ فـيـ شـخـصـيـتـهـ.

وـالـشـدائـدـ تـقـويـ النـفـسـ، وـتـقـومـ الـظـهـرـ، وـتـثـبـتـهـ، وـتـجـعـلـهـ صـلـبـاـ فـيـ مـوـاجـهـةـ تـقـلـبـاتـ الـدـنـيـاـ، فـإـنـ صـبـرـ الـمـرـءـ فـيـهـ وـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ رـبـهـ، وـأـخـذـ بـالـأـسـبـابـ، وـدـاـوـمـ وـصـلـاـ بـالـرـحـمـنـ الرـحـيمـ ذـكـرـاـ وـدـعـاءـ وـالـتـجـاءـ، فـمـاـ يـلـبـثـ أـنـ يـعـودـ أـقـوـىـ وـأـرـسـخـ.

قـالـ سـبـانـهـ: "الـذـيـنـ قـالـ لـهـمـ النـاسـ إـنـ النـاسـ قـدـ جـمـعـوـاـ لـكـمـ فـاـخـشـوـهـمـ فـزـادـهـمـ إـيمـانـاـ وـقـالـوـاـ حـسـبـنـاـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ، فـاـنـقـلـبـوـاـ بـنـعـمـةـ مـنـ اللـهـ وـفـضـلـ لـمـ يـمـسـسـهـمـ سـوـءـ وـأـتـبـعـوـاـ رـضـوـانـ اللـهـ وـالـلـهـ ذـوـ فـضـلـ عـظـيـمـ"

المسلم

المصادر: